

# الملوية - منارة المسجد الجامع في شامراء

بقلم ربيع القيسي  
منقّب آثار

## مقدمة :

ولو تبيّننا لابد وان تشمل مثل تلك المنشآت  
يعتبر جامع الجمعة المعروف بجامع الملوية الدينية مأذن 'يسبح فيها لله وتعلو بها اسماؤه  
الذي شيده الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢ - الحسنى عند ذلك لا نستغرب ان نجد قرب  
٢٤٧ هـ - ٨٤٧ - ٨٦١ م) من أهم الابنية الاثرية الضلع الشمالية لهذا الجامع منارة تتفق وحجم  
المتخلفة من مختلف العصور الاسلامية لما يمتاز البناء وتعد من أعلى وأضخم المنائر التي شيدت  
به من الضخامة والسعة . فقد كان يحيط به في العصور الاسلامية الاولى (٣) .

## طراز البناء :

ان منارة جامع المتوكل بناء قائم بارتفاع نحو  
خمسین متراً على قاعدة مربعة يلف حوله مرفح  
حلزوني يؤدي الى قمة المنارة .  
وقد علل قسم من علماء الآثار ان هذا  
الطراز المعماري مشتق من فكرة بناء الزقورات  
التي شيدت منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا .

(٢) جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ، الجزء الخامس ص ١٥ طبع القاهرة ١٩٠٦ بان الخليفة المتوكل ( بنى مسجداً جامعاً فاعظم النفقة عليه وأمر برفع مداره لتعلوا أصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الاول )

(١) يشمل السور الخارجي من جامع الجمعة على ما يقرب من (٦٨) برجاً ويحتوي السور الداخلي (٤٤) برجاً .  
(٢) يقول اليعقوبي في كتابه البلدان ص ٣٢ ، طبع النجف ١٩١٨ مشيراً الى الخليفة المتوكل ( وجعل فيه فواراة ماء لا ينقطع ماؤها )

البابلية القديمة<sup>(٤)</sup> ، لانها على طراز الزقورة التي كان يتبنها الصابئة من السكلدانيين والحرثانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب الهيكل<sup>(٥)</sup> . وفريق آخر منهم استبعد فكرة اشتقاق هذا الاسلوب البنائي من الزقورات وذهبوا بالقول الى ان الزقورة أشبه بالتلول منها بالابراج اضافة الى ان احتمال وجود زقورات كاملة في فترة بناء الملوية قليل جدا حيث ان معظم الاخبار تشير الى ان هذه الزقورات كانت ركاما وانها لا تعطي الصورة التي بنيت الملوية على شكلها<sup>(٦)</sup> . والواقع ان فكرة الزقورة بقيت مستمرة في انشاء ابراج مراقبة الري وابراج النار ، التي تكون أحيانا على شكل مضلع ، ويرتقى اليها بدرج يلف حول البناء في نهايته غرفة صغيرة للمراقبة أو لاشعال النار التي كانت تستخدم في المخابرات بين موقع وآخر . ولا تزال بقايا كثيرة من هذه الابراج منتشرة في أجزاء شتى من العراق كبرج النار في موقع الحضرة الانري ، وبرج القائم على القاطول الكسروي الاسفل ، وبرج آخر موجود في خرائب عبرتا على النهروان ، وربع في شمال عنه على المرتفعات الواقعة غربي الفرات قرب

موقع الجابرية .  
ومهما يكن من أمر فان المئذنة الملوية ليست صورة حية للزقورات لان الاخيرة كانت رباعية التخطيط وشكلها السائد هو برج مدرج مؤلف من عدة طبقات تختلف سعتها بشكل انسيابي كلما ارتفع البناء . ويرقى الى الطابق الاسفل بسلم خارجي كما يمكن الوصول الى الطبقات الاخرى بأجزاء تعتبر امتدادا لهذا السلم . وعلى هذا الاساس نستطيع القول بأن المعمار في مئذنة جامع المتوكل قد حاول نقل فكرة بناء الابراج التي شيدت على طراز الزقورة واستخدمها باسلوب جديد اذ جعل المئذنة مستديرة بعد ان كانت الزقورات مربعة . ويرى الدكتور أحمد فكري ان المناورة الملوية لم يكن لها نظير من قبل بنائها ولا من بعد ، وذلك أولا من حيث انها مستديرة القامة ومدرجة الطوابق وثانيا من حيث ان سلمها لولبي<sup>(٧)</sup> . ومن المحتمل ان هذا الشكل من المآذن مشتق من شكل برج گور Gur قرب فيروزآباد في ايران ، حيث ان التشابه كبير جدا بين البرجين

(٤) الدكتور أحمد سوسة - ري سامراء ، الجزء الاول ص ١١٢ ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ .  
ص ١١٩ ) ، لتوضح له صحة ذلك الفرق فيما بين المئذنتين ، اذ يقول الدكتور فكري :-

وللمئذنة المسجد الطولوني قاعدة مرتفعة بنيت من الحجارة وحفرت عليها في كل جانب من جوانبها الاربعة طاقة صماء مزدوجة في وسطها عمود صغير رشيق يرتقى عليه عقدان منفوخان على هيئة عقود المآذن الاندلسية . وترتفع هذه القاعدة أو هذا الطابق الاول من المئذنة الى ما يزيد قليلا عن (٢١) مترا ويعطوه طابق ثان مستدير يبلغ ارتفاعه (٩) أمتار ويبلغ قطره حوالي (٧) أمتار ، ويرتفع فوقه طابقان مثمانان متراجعان ينتهي ثانيهما بقبة صغيرة مضلعة يبلغ ارتفاع قممتها عن سطح الارض (٤٠) مترا .

(٥) كلمة الهيكل مأخوذة من الكلمة السومرية القديمة ( ايكال ) التي تعني البيت الكبير أو المعبد الكبير .

(٦) من محاضرات الدكتور غازي رجب القاها في كلية الآداب العراقية بجامعة بغداد سنة ١٩٦٧ .

(٧) لقد شبهت المنارة الملوية بمئذنة مسجد ابن طولون في القاهرة ، غير ان الحقيقة تشير الى انهما لايتشابهان الا في وضعية الرقى الخارجي في كل منهما ، وانهما يختلفان اختلافا كبيرا من الناحية المعمارية والزخرفية . ولو تتبع القاريء الكريم وصف الدكتور أحمد فكري لمئذنة مسجد

الجدار الشمالي لجامع الجمعة وعلى محوره الاوسط تقريبا ، وهي قائمة بمفردها لا تتصل بجدران الجامع . وتتكون من قاعدة مربعة مؤلفة من مسطبتين ، السفلى طول ضلعها (٣١٣٠) متر وارتفاعها (٢٥٠) متر وهي مزينة بـ (٣٣) مشكاة ست منها في الجانب المواجه للضلع الشمالية من الجامع ، وتسع منها في كل من جهاتها الثلاث الباقية . وقوام زخرفة كل من تلك المشاكي بصفة محاريب صغيرة تقريبا مستطيلة ومعقودة باقواس مدببة ارتفاعها (٢٢٥) متر وعرضها (١) متر وعمقها (٥٠) سم .

أما المسطبة الاخرى فهي أصغر من السفلى وتبرز منها طول ضلعها (٣٠١٠) متر وارتفاعها (١٦٠) متر وبذلك يكون الارتفاع الكلي لقاعدة المنارة هو (٤١٠) متر . ( أنظر الصورة رقم - ٣ - ) .

وتتصل القاعدة المذكورة بالجامع بواسطة اسس آجرية الراجع انها بقايا السلم المنحدر الذي كان مستعملاً في الصعود الى هذه القاعدة . فقد أباتت الحفريات التي قام بها الاستاذ الالماني هرتسفلد<sup>(١١)</sup> ، اضافة الى التحريات التي أجرتها مديرية الآثار العامة ، عن وجود سلم منحدر طوله ٢٥ متر وعرضه ١٢ متر مشيد بالآجر ويبدأ من نقطة تبعد عن جدار الواجهة الشمالية لجامع

وان الاختلاف الرئيسي بينهما هو ان برج فيروز آباد ذي مقطع مربع بعكس الملوية ذات المقطع الاسطوانى ( أنظر الشكلين المرقمين ١ ، ٢ ) . والذي يبدو ان هذا الطراز من الابنية كان منتشرًا بصورة كبيرة في العصر العباسي الاول . فبالاضافة الى وجود بقايا مئذنة تقع جوار مسجد ابي دلف في سامراء شيدت على غرار المئذنة الملوية ، فاننا نجد قبة مشابهة بناها الخليفة المكتفي ( ٣٨٩ - ٥٣٩٥ = ٩٠٢ - ٩٠٨ م ) الى جانب القصر المعروف بقصر التاج<sup>(١)</sup> . وقد دُعيت هذه القبة بـ « قبة الحمار » لان الخليفة كان يصعد اليها في مدرج حولها على حمار صغير . ويذكر المرحوم الدكتور مصطفى جواد بانها كانت عالية مثل نصف الدائرة وكأنها كانت تشبه الملوية بسامراء في مصعدها<sup>(٩)</sup> .

والشيء الذي يلاحظ ان هذا الطراز البنائي قد انتشر حتى وصل الى الصين حيث كانت تعرف امثال هذه الابراج بالتاي Tai أو الهو Hu ، واغلب الظن انها كانت من خصائص ومميزات البيوت الملكية في الصين من القرن الحادي عشر الى القرن الثالث عشر<sup>(١٠)</sup> .

### وصف المنارة :

تقع المنارة على بعد (٢٧٢٥) متر من

(١٠) انظر البحث الذي نشره كرسويل عن المنارة في الصفحة ٢٦٤ ، الجزء الثاني من كتابه :

Early Muslim Architecture

(١١) انظر البحث الذي نشره هرتسفلد عن آثار سامراء في الجزء الثاني من كتابه :

Archäologische Reise im Euphrat und Tigris — Gebiet.

(٨) يقع هذا القصر على نهر دجلة . وقد اسسه الخليفة المعتضد واتم بناءه ابنه علي المكتفي حتى اصبح أهم مركز رسمي للخلفاء . وقد انشئت لهذا القصر مسناة عظيمة على ضفاف دجلة لصند تيارها عنه ومنع تأثير مياهها فيه ، وكان القصر يشرف على هذه المسناة كانه التاج .

(٩) الدكتور مصطفى جواد - دليل خارطة بغداد - الفصل ص ١٢٦ - مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٢٧٨ -

واحجامها تختلف اختلافا بسيطا تبعاً لطبيعة  
استدارة ذلك الجزء من المنارة حيث يتراوح  
عرضها ما بين (١١٠) متر - (١١٥) متر  
وارتفاعها (٢٢٥) متر • وكل من تلك الحايا  
تكون ضمن اطار قليل الغور ارتفاعه (٢٩٠) متر  
وعرضه يختلف في واحدة عن الاخرى حيث  
يتراوح ما بين (١٦٠) متر - (١٩٠) متر •  
وذلك الاطار ذو عقد مدبب محمول على عمودين  
جانبين اسطوانيين الشكل قطر الواحد منهما  
(٤٠) سم • ( انظر الصورة الرقم - ٦ - ) •

ويذكر هرتسفلد في ملاحظاته عن المنارة  
الملوية انه كان في قمتها ثمانية ثقب استدل منها  
انه ربما كانت تغطي ذلك الموضع سقيفة محمولة  
على ثمانية أعمدة خشبية مثبتة في تلك الثقب (١٢) •  
ويرجع الدكتور غازي رجب أن هذه الحفر  
تعود لأعمدة رخامية شبيهة بتلك التي وجدها  
هرتسفلد اثناء حفرياته عام ١٩١٠ وهي تحيط  
بالدعائم الأجرية التي كانت تحمل سقف جامع  
الجمعة لكونها أكثر مقاومة لعوامل الطبيعة  
المؤثرة (١٣) •

غير ان الحقيقة تشير الى ان تلك الأعمدة  
كانت من الخشب بدليل ان الهيئة الفنية التي  
اوفدها مديرية الآثار العامة عام ١٩٧٠ لصيانة  
المنارة قد عثرت في قمتها على احد تلك الثقب  
وفيه أجزاء باقية من آثار عمود خشبي وقد  
اهتمت الهيئة الفنية بالمحافظة عليه ليبقى خير  
شاهد على ذلك •

الجمعة بمقدار ٢٢٥ متر • ثم يأخذ ذلك المنحدر  
بالارتفاع حتى يتصل بالقاعدة التي تقوم عليها  
الملوية في المكان الذي يبدأ فيه السلم الحلزوني  
الذي يؤدي الى اعلى المنارة • وقد عثر هرتسفلد  
على دلائل تشير الى وجود ممر أرضي معقود  
عرضه نحو متر واحد يقع بين المنحدر والضلع  
الجنوبية من قاعدة المنارة حيث يرتكز احد جانبي  
الممر على القاعدة المذكورة ، كما لاحظ أيضا  
انتشار حفر صغيرة عديدة ومتعاقبة على جانبي  
المنحدر استنتج منها انها ربما كانت تعود لأعمدة  
سياج كان بالأصل قائما على الجنيين • واغلب  
الظن ان ذلك السياج من الخشب وربما كان  
مزخرفا بنوع من الزينة التي تشابه في اسلوب  
طرازها ما تحويه الاسيجة الرومانية البيزنطية  
الكائنة في شرفات وأسيجة سلالم القصور والمعابد  
التاريخية • ( انظر المخطط رقم - ١ - ) •  
وفوق قاعدة المنارة ينتصب بدن المثذنة ،  
وهو بناء مؤلف من خمس طبقات تناقص سمعتها  
كلما ارتفع البناء • يبلغ ارتفاع الطبقة السفلى  
اعتباراً من الجانب الجنوبي للمنارة والمواجه  
لضلع الجامع الشمالية - (١٠٢٠) متر ، وارتفاع  
الطبقة الثانية (٨١٢) متر ، وارتفاع الطبقة  
الثالثة (٨٨٣) متر ، والطبقة الرابعة (٨١٠)  
متر واما الطبقة الخمسة فيكون ارتفاعها (٥٩٤)  
متر • ويعلو هذا الجزء الاخير طابق آخر  
اسطوانى الشكل ارتفاعه (٥٤٠) متر محلى بثمانية  
حيايا تدور حوله ، وهي معقودة بأقواس مدببة

(١٢) راجع المصدر نسابق  
الاسلامية في كلية الاداب العراقية بجامعة بغداد القاها عام  
١٩٦٧ •

(١٣) من محاضرات الدكتور غازي رجب استاذ العمارة

الامر المهم وادامته وعدم ضياع معالمه الزخرفية (انظر الصورة رقم ٢ - ) . وفي عام ١٩٧٠ التفتت مديرية الآثار العامة مرة ثانية لهذا البناء الذي يُعد من الغرائب ، فأوفدت جماعة من موظفيها المختصين لاجراء اعمال الترميمات في المنارة بعد أن أخذت المؤثرات الطبيعية من عوامل التعرية والتآكل تؤثر في قاعدتها وبدنها وزخارفها . فقد باشرت تلك الهيئة الفنية أولا بصيانة قاعدة المنارة التي نحتت فيها الرطوبة نحتا بالغاً وغطيت ارضيتها بالجص حفظاً لها .

وبعد ان تم ذلك شيد درج حديث مؤقت عند جانبها الجنوبي ليسهل عملية الصعود اليها . ثم امتدت أعمال الصيانة ناحية البدن حيث قلعت الاقسام المحرقة منه واعيدت بطابوق لا يختلف عن الأجر القديم في مقاييسه ، كما اجريت الترميمات في درجات المرقى الحلزوني الذي يؤدي الى قمة المنارة . (انظر المصورتين ٤ ، ٥) . بعد ذلك اتجهت الاعمال لصيانة الاقسام اعليا من المنارة فأعيدت جميع الخنايا ، الأنفة الذكر ، والتي تزين ذلك الجانب طبقا لدلائلها الاصلية كما تم حفظ قمة المنارة من المؤثرات الطبيعية المخربة .

وكان في نية المديرية العامة المذكورة تجهيز سياج حديدي ( مسند ) يؤمن خطر الارتقاء الى المنارة ، وبالفعل أنهت الهيئة نصب ذلك المسند حول البدن وجعلته على ارتفاع مناسب ( انظر الصورة رقم ٧ - ) .

ويبدو حول طبقات الملوية الأنفة الذكر مرقى حلزوني يبدأ من وسط الجانب الجنوبي لبدن المنارة يشمل (٣٩٩) درجة تتراوح مقاساتها ما بين (٢٥٠) متر × ٥٧سم وبين (١٩٠) متر × (٦٥) سم تبعاً لطبيعة انحدارها ووضعيتها استدارتها<sup>(١٤)</sup> . ويذكر هرتسفلد انه كان على الجانب الخارجي من هذا المرقى سياج ربما كان من الخشب معللاً ذلك بعثوره على ثقوب عديدة في الدرجات اعتقد انها كانت لتثبيت قوائم ذلك السياج .

ويتنبى ذلك السلم في نقطة تقع عند الجهة الجنوبية في اعلى المنارة حيث يوجد مدخل مسقف بعقد من طابوق منتظم عرضه نحو (١٩٠) متر وارتفاعه (٢٩٠) متر ، وهو قد فتح في احدى الخنايا الثمانية التي تقع في ذلك الجانب . ويوصل ذلك المداخل الى درج شديد الانحدار مؤلف من (٢٢) درجة يبدأ مستقيماً ثم يصبح حلزونياً وفي نهايته نجد قمة المنارة التي ترتفع عن القاعدة لمسافة تقرب من (٥٠) متراً .

### صيانة المنارة :

ان مرور المئات من السنين على المنارة الملوية جعلها تبدو متصدعة في كثير من اجزائها المعمارية ( انظر الصورة رقم ١ - ) . وسبق لمديرية الآثار العامة ان جهزت بعثة أثرية عام ١٩٣٦ لصيانة هذا البناء التاريخي وكان لتلك البعثة فضل كبير في المحافظة على تخليد هذا

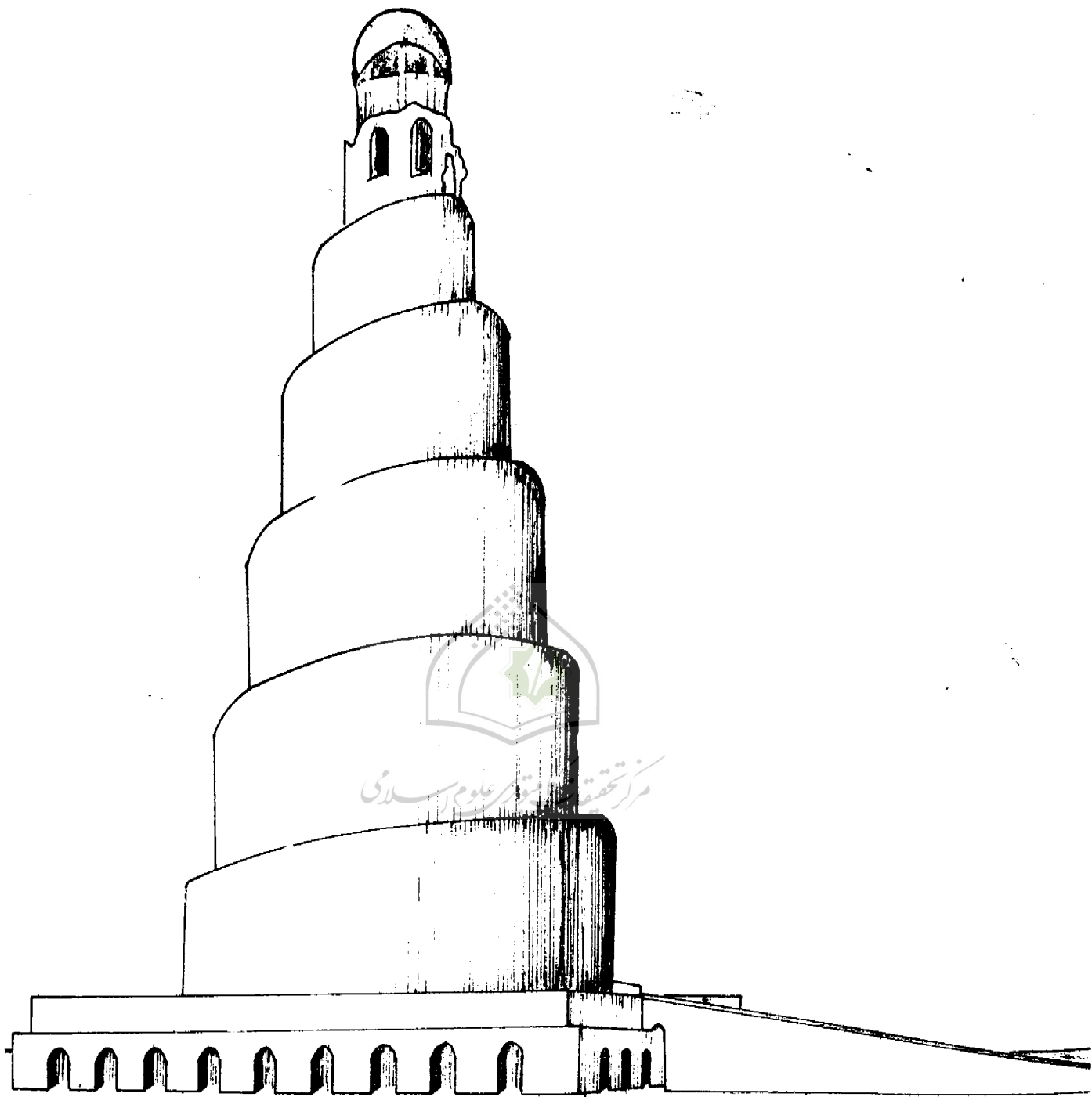
الصاعد ان يدور الى اليسار بدل اليمين . اي في اتجاه مخالف لاتجاه عقارب الساعة .

(١٤) المألوف في بناء ادراج الماذن ان يكون الصعود عليها يمنة ، غير ان في طريقة ارتقاء سلم الملوية يجب على

هذا بالاضافة الى ان المنارة قد أُنيرت وما زال ذلك الامر الخالد - الذي ظل يتحدى  
بالاجهزة الكهربائية (البروجكترات) بغية ابراز الزمن بشموخه وارتفاعه - مطمح اعين الزوار  
قيمتها الفنية ليلا ( أنظر المصورة رقم - ٨ - ) • والسواح •



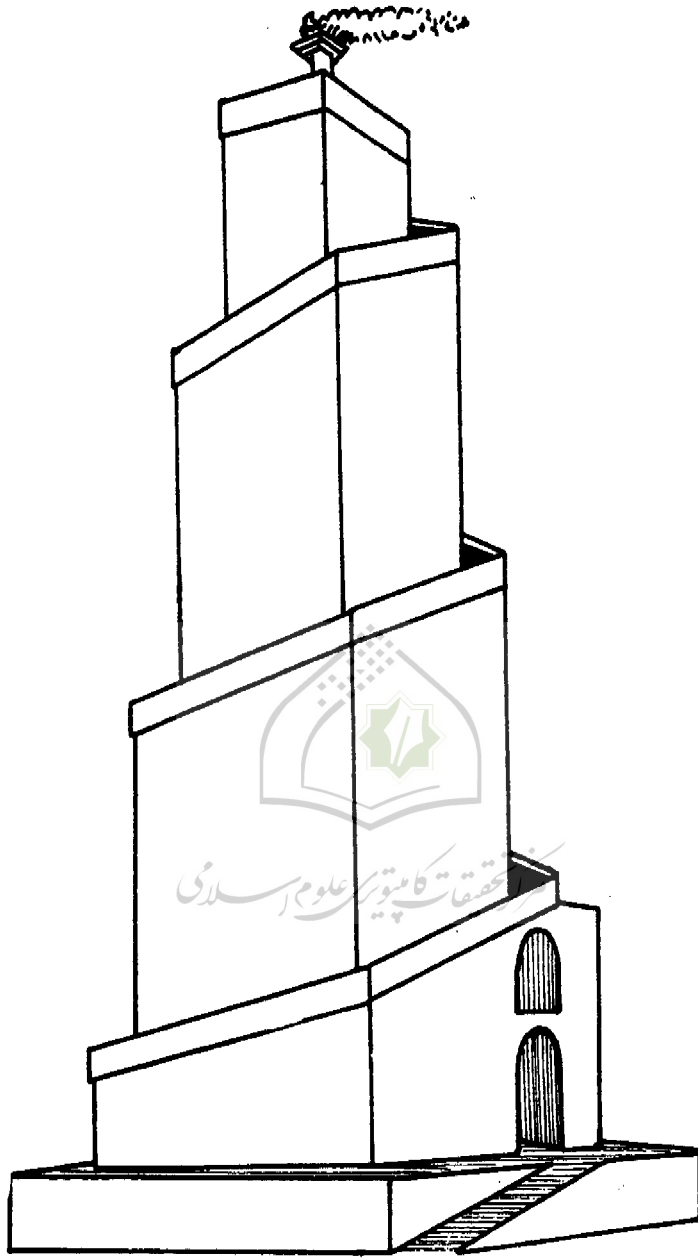
مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم سامراء



شكل رقم - ١ -

## مخطط المنارة الملووية

مقارن من كرسويل



شکل رقم (۲)

مخطط برج گور فی ایطران

منقول عن کرسوید